قد شبتُ والشعر مسودٌّ فما عجبي ... من واضح الشيب بعد الشيب في القتَمِ
ما كان مسودٌّ شعري وهو مشتمل ... عليك إلا كجلباب من الكتم[١٤]
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل ... دون الثلاثين قد ساواك في الهرم
إذا ادَّكرت شبابًا في النعيم مضى ... لم يدَّكر من شباب كان أو نِعم
وما انتفاعي وقد شاب الفؤاد سدى ... أنْ لم تشِب أبدًا كفي ولا قدمي
وليس ما يخدع الفتيان يخدعني ... كلا ولا شيم الفتيان من شيمي
يا شيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها ... فانزِل بلا ضائقٍ بالشيب أو برم[١٥]
من لا يبالي أَفَخْرٌ أنت تنذره ... بالصبح أم أنت ضوء النجم في الظلم
يا مرحبًا بصباح ليس يسلبني ... صفوًا، وبُعدًا لليل فيه لم أنمِ

أمُّنا الأرض

مغزى هذه القصيدة أن الخوالج التي تحرك الأطفال هي الخوالج التي تتصرف بالرجال، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادون بالحيل التي نخدع بها الأطفال وهم لاعبون، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون.

أسائلُ أمنا الأرضا ... سؤال الطفلِ للأم
فتخبرني بما أَفْضَى ... إلى إداركه علمي

* * *

جزاها الله من أمٍّ ... إذا ما أنجبت تئدُ[١٦]
تُغذِّي الجسم بالجسم ... وتأكل لحم ما تلد

* * *

[١٤] الكتم: صبغ للشعر، والمعنى أن الشَّعر الأسود الذي ينطوي على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ.
[١٥] متضجر.
[١٦] تدفن أولادها.

ألا يـا أم كـم طـلـعـا عليك الشمس والقمر
وكم أسنى وكم وضعا عـلـى أرجـائك الـقـدر

* * *

أقاموا أمس وانصرفوا فليس لفلِّهم[١٧] شمل
فأين نفوس من سلفوا وأين يكون من يتلو

* * *

فقالت في ملامحكم يبين الجَدُّ والخلَف
فجوسوا في جوانحكم فثمَّ يجوس من سلفوا

* * *

وأين عظام من نبُها[١٨] من الماضين في السِّير
فقالت قد صنعت بها لكم حلوى من الثمر

* * *

وما المجد الذي أضرى قلوب بنيكِ فاشتجروا
فقالت حيلة كبرى يراها القلب لا البصر

* * *

فقلت لها فما العمل؟ فقالت خادم الحُلْم
وما الأحلام والأمل؟ فقالت حيلة الأم

* * *

وقد يُحتال للطفل على خيرٍ له مُجد

[١٧] فل الجيش هو ما تبدد منه.
[١٨] اشتهر.

ألا ينبو عن الأكل إذا لم يُغْرَ بالوعد[١٩]

* * *

فقلت لها وما السَّقم؟ وما الآلام والبلوى؟
وما الآفات تخترم شباب الأحور الأحوى؟

* * *

فقالت إنما البلوى عقاب الطيش والنهم
فإن جرتم على الحلوى هززت لكم عصا الألم

* * *

وقلت لها فما الذَّهب وفيمَ طويتِه عنَّا
فماج الناس واضطربوا فلا عطفًا ولا أمنا؟

* * *

فقالت لست أحسبه سوى ضرب من الحجر
وإن الطفل مطلبه أشد لكل مستتر

* * *

يجدُّ الطفل مفتتنًا بما لم يبدِه العلن
ويحسب جهده ثمنًا لشيء ما له ثمن!

* * *

لزدت بقولها خُبرًا وزدت بقولها جهلا
فما ألفيته وعرًا وما ألفيته سهلا

[١٩] الأمل كاللعبة التي توضع أمام الصبي ليمشي إليها، حتى إذا بلغها أبعدت عنه، وهكذا إلى أن يقوى على المشي، وكذاك الأمل، كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى، فيبعثنا على العمل الذي يقدمنا، ولولاه لما عملنا.

* * *

وصحت بها إلى أينا إلى أين المصير بنا؟
فغضَّت عينها الجفنا وصدت عنِّيَ الأُذُنَا

* * *

بني الدنيا لعابِ بها ففي الأبواب قصَّادُ
لكم يوم بملعبها وتحت الأرض آبادُ

* * *

لها ملهى تكرره إذا ما انقضَّ لم يُعقدْ
نغاديه فننظره ويوصَد بابُه السرمدْ